

العِبَادَةُ وَسِيلَةُ الْقُرْبِ وَالْمَحَبَّةِ

أَهْدَافُ الدَّرْسِ

- 1 - أَنْ أَتَعَرَّفَ الْعِبَادَةَ الْمُوَصِّلَةَ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَوِلَايَتِهِ.
- 2 - أَنْ أُدْرِكَ جَزَاءَ مُعَادَاةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.
- 3 - أَنْ أُحْرِصَ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُوَصِّلَةِ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ.

تَمْهِيدٌ

أَهْمُ غَايَةٍ يَرْجُو الْعَبْدُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا هِيَ الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّنَعُّمُ فِي مَقَامِ وَلَايَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَلَنْ يَجِدَ وَسِيلَةً إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ. فَمَا هِيَ الْعِبَادَةُ الَّتِي تُنِيلُهُ الْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ وَوِلَايَتَهُ؟ وَمَنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ وَمَا جَزَاءُ مَنْ عَادَاهُمْ؟

الْحَدِيثُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...» [رواه البخاري]

تَرْجَمَةُ الرَّاوي

تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَةُ الرَّاوي فِي الدَّرْسِ الرَّابِعِ.

الفهم

الشرح:

عَادَى: مِنَ الْمُعَادَاةِ، وَهِيَ ضِدُّ الْمَوَالَاةِ.
وَلِيًّا: هُوَ مَنْ تَوَلَّى أَمْرَ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَتَوَلَّى اللَّهُ أَمْرَهُ بِالْحِفْظِ وَالتَّوْفِيقِ.
أَذْنَتْهُ: أَعْلَمَتْهُ.

استخلاص المضامين:

- 1 - أَحَدَدُ مِنَ الْحَدِيثِ مَا يُقَرِّبُ الْعَبْدَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.
- 2 - اسْتَخْرِجْ مِنَ الْحَدِيثِ مَكَانَةَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَجَزَاءَ مَنْ عَادَاهُمْ.

التحليل

قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَشْرَفُ حَدِيثٍ فِي ذِكْرِ الْأَوْلِيَاءِ، وَهُوَ أَصْلٌ فِي السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَيَشْتَمِلُ الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى مَا يَأْتِي:

أولاً: مقام الأولياء عند الله تعالى

أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ أَوْلِيَائِهِمُ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس 62-63-64]. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّمَ الْإِعْذَارَ إِلَى كُلِّ مَنْ عَادَى وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُحَارِبُهُ بِنَفْسِ الْمُعَادَاةِ، فَلْيَحْذَرِ الْإِنْسَانُ مِنْ مُعَادَاةِ وَإِذَاءِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ. قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَعْمَالُهُمْ؟

قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ مِنْهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا بَيْنَهُمْ، فَوَ اللَّهِ، إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].. [سنن أبي داود باب في الرهن]

ثانياً: الْعِبَادَةُ الْمُوصَلَةُ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَوَلَايَتِهِ

دَلَّ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبُهُ» عَلَى: أَنَّ أَفْضَلَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى آدَاءُ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا عَلَيْهِ، عَيْنًا كَانَتْ أَوْ كِفَايَةً، كَالصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَآدَاءِ الْحُقُوقِ إِلَى أَرْبَابِهَا، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَإِقَامَةِ الْحُرَفِ وَالصَّنَائِعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْمَفْرُوضَاتِ، وَأَنَّهُ لَا تَسْتَوِي النَّافِلَةُ وَالْفَرِيضَةُ فِي الدَّرَجَةِ، وَأَنَّهُ لَا تُقَدَّمُ النَّافِلَةُ عَلَى الْفَرِيضَةِ، وَإِنَّمَا تُسَمَّى النَّافِلَةُ نَافِلَةً إِذَا أُدِّيَتْ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، وَإِلَّا فَلَا يَتَنَاولُهَا اسْمُ النَّافِلَةِ؛ لِأَنَّ التَّقَرُّبَ بِالنَّوَافِلِ يَكُونُ بَعْدَ آدَاءِ الْفَرَائِضِ.

وَوَسَائِلُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهَا مَا هُوَ فَرَضٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ نَفْلٌ؛ فَالْفَرَائِضُ لِتَحْقِيقِ الْقَدْرِ الْوَاجِبِ التَّزْكِيَّةِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالنَّوَافِلُ لِتَحْصِيلِ الْكَمَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ. وَمَتَى أَدَامَ الْعَبْدُ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يُحِبَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَصِيرَ عَبْدًا رَبَّانِيًّا مِنْ أَهْلِ اللَّهِ وَخَاصَّتِهِ.

ثالثاً: مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ

يَدُلُّ قَوْلُهُ: «حَتَّى أَحْبَبُهُ» عَلَى أَنَّ لِأَوْلِيَائِ اللَّهِ الْأَبْرَارِ الْأَتْقِيَاءِ مَقَاماً عِنْدَ اللَّهِ، هُوَ مَقَامُ الْمَحَبَّةِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ: كِنَايَةٌ عَنْ قُرْبِهِ مِنْهُمْ وَنُصْرَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَهُمْ بِالْحِفْظِ وَالنَّصْرِ وَاللُّطْفِ وَالتَّمْكِينِ.

وَبِمُقْتَضَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ، فَإِنَّهُ تَجِبُ مُوَالاتُهُمْ وَتَحَرُّمُ مُعَادَاتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُفِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (57) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿58﴾ [المائدة: 57 - 58]؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَحَبَّهُ اللَّهُ.

رَابِعًا: جَزَاءُ مَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ

كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ أَحَبَّ أَوْلِيَاءَهُ، فَإِنَّهُ يُبْغِضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ؛ بَلْ مَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ، وَمَنْ عَادَى اللَّهَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمُحَارَبَةِ اللَّهِ، وَمَنْ حَارَبَهُ اللَّهُ هَلَكَ لَا مَحَالَهَ. وَالْمُرَادُ بِالْمُعَادَاةِ: مُعَادَاةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لِأَجْلِ وَلَايَةِ اللَّهِ.

مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ:

- التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالْإِكْتِثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَوَلَايَتِهِ.
- وَلَايَةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ تَحْصُلُ بِامْتِثَالِهِ لِلطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِهِ لِلْمَحَرَّمَاتِ.
- مَحَبَّةُ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ تُوجِبُ مَحَبَّتَهُمْ وَتَوْقِيرَهُمْ وَعَدَمَ مُعَادَاتِهِمْ.
- دَعْوَةُ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى السَّعْيِ لِنَيْلِ وَلَايَتِهِ وَالْإِرْتِقَاءِ فِي دَرَجَاتِهَا.

التَّقْوِيمُ

- 1 - أَذْكَرُ وَسَائِلِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
- 2 - أَبْيَنُ مَنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ وَمَا مَعْنَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ؟
- 3 - أَحَدُّ مَوْقِفِي مِنَ السُّلُوكَاتِ مَعَ التَّعْلِيلِ:
- شَخْصٌ يُحِبُّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَيَعْظُمُهُمْ.
- شَخْصٌ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ وَيُهْمِلُ الْفَرَائِضَ.

الاستثمار

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [البقرة: 220]
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلِإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 31]

- 1- أَسْتَخْرِجُ مِنَ الْآيَتَيْنِ أَعْمَالًا تُوصِلُ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- 2- أَسْتَخْلَصُ مِنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ.

الإعداد القبلي

- 1- أَرَأَيْتَ دُرُوسِي وَأَسْتَعِدُّ لِحِصَّةِ الدَّعْمِ وَالتَّطْبِيقِ.
- 2- أَسْتَعِدُّ مَعَ أَصْدِقَائِي فِي الْفَصْلِ لِنَدْوَةٍ بِعنوان: «أَهْمِيَّةُ طَلَبِ الْعِلْمِ» وَاتَّبَعُ الْخُطُواتِ الْآتِيَةَ:
 - أَحَدُّ مَعَ الْأُسْتَاذِ (ة) وَأَصْدِقَائِي فِي الْفَصْلِ أَهْدَافَ النَّدْوَةِ وَمَحَاوِرَهَا.
 - أُنَسِّقُ مَعَ أَصْدِقَائِي لِتَحْدِيدِ بَرْنَامَجٍ زَمَنِيٍّ لِلنَّدْوَةِ.
 - أَتَعَاوَنُ مَعَ أَصْدِقَائِي لِإِعْدَادِ الْمَحَوِرِ الَّذِي كُفِّنَا بِهِ.
 - أَزُورُ الْمَكْتَبَةَ الْمَدْرَسِيَّةَ وَالْمَكْتَبَاتِ الْقَرِيبَةَ لَجَمْعِ الْمَعْلُومَاتِ.